نصرة المظلوم

والانتصار من الظالم

أحمد أحمد جاد

المدائن

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

رقم الإيداع : ٢٠٠٣/١٠٢٦٧
الترقيم الدولي : I.S.B.N.
977-5339-71-5

دار المدائن للنشر والتوزيع
العجمي : البيطاش - مدينة الأندلس والحجاز - عمارة ١٤
سموحة :٢٧ ش محمود داود - عمارة الجمارك - الدور الثاني
الإسكندرية - تليفاكس : ٤٢٤٠٢٠٣

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، نصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين ، المبعوث رحمة للعالمين . .

وبعد ،

إن العالم اليوم تسوده شريعة الغاب والقرصنة ، فالظلم يعم والفساد ينتشر على كل المستويات . . الدول الكبرى لا تنصر المظلوم بل تعين الظالم المعتدى . . الدول الكبرى تأكل الصغرى وتستعبد الشعوب . . يأكل القوى الضعيف ، ولا يأمن الإنسان على نفسه وماله ! فالهدم والدمار . . والقتل والعدوان . . فى كل مكان ، فى فلسطين والعراق .

هذا بسبب غياب شريعة الله العادلة التى تحقق للإنسان حريته وكرامته ، وتكفل له الحقوق وتحقق له الأمان ، فالإسلام نظام متكامل ينشىء

مجتمعا متماسكا تسودة المحبة والإخاء . . ينصف المظلوم ولو كان يختلف معه فى العقيدة . . ولا يكيل بمكيالين . . وقد بين الإسلام كيف ننصر المظلوم وكيف هو ينتصر لنفسه وكيف نقف أمام الظالم . .

والإسلام وضع قواعد وإجراءات حتى يمنع حدوث الظلم أصلاً ، لكن إذا حدث فقد جعل للمظلوم أبوابا لنصرته . . فأوجب نصر المظلوم ونهى عن إعانة الظالم وجعل لمن يعينة عقوبة . .

ومن هنا قسمت هذا الموضوع الهام الحيوى إلى أبواب :

الأول : فى معنى الظلم وأنواعه والحكمة منه ، والطرق الوقائية لمنعه ابتداء .

والثانى : فى نصرة المظلوم ووقائع من التاريخ لنصرته .

والثالث : فى الانتصار من الظالم .

فهذه رسالتى الموجزة إلى كل مظلوم لينتصر

وينصره أهل المروءة والنجدات ، كما أنها رسالة إلى كل ظالم ليعلم أن دوام الحال من المحال ، وليأخذ عبرة من الظلمة السابقين وكيف فعل الله بهم .. ثم حسابهم فى الدنيا قبل الآخرة .

والله المستعان ، وهو يهدى من يشاء إلى صراطه المستقيم والحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين .

الإسكندرية
رجب ١٤٢٣هـ
أكتوبر ٢٠٠٢م

الفقير إلى الله تعالى
أحمد أحمد جاد

الباب الأول

الإجراءات الوقائية لمنع الظلم

وقد جعلت هذا الباب فى فصلين :

الأول : فى الظلم وأنواعه والحكمة منه

والثانى : فى الطرق الوقائية لمنع الظلم .

الفصل الأول

الظلم وأنواعه وحكمته

أولاً :معنى الظلم :

أصل الظلم ، وضع الشئ فى غير موضعه ، يقال : من أشبه أباه فما ظلم،وفى المثل :من استرعى الذئب فقد ظلم، والمظلمة :ما تطلبه عند الظالم ، وقوله تعالى ﴿ **وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا** ﴾ الكهف/ ٣٣ ، أى لم تنقص . .وظلم الأرض أى حفرها فى غير موضع حفرها .

والظلم ما يتضرر به الغير . . ومنع حق

المسكين ظلم ، فأصحاب البستان الذين قرروا حرمان المساكين من ثمار الحديقة . . دمرها الله بليل وهم نائمون . . فلما رأوها اعترفوا ﴿ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ القلم: ٢٩، وقالوا ﴿ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِين ﴾ القلم ٣١، أي اعتدينا وبغينا وطغينا وجاوزنا الحد حتى أصابنا ما أصابنا . . والظلم سبب هلاك الأمم ﴿ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ﴾ الكهف٥٩ .

والشرك بالله قمة الظلم وأعظمه ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ لقمان : ١٣ ، ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ الأنعام / ٢١ ، ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ البقرة / ٢٢٩ .

ثانيا : أنواع الظلم :

ينقسم الظلم إلى ما يعم ضرره وما يخص ، وقد يكون على مستوى الدول ، فتظلم الكبيرة الصغيرة ، وقد تعاملها معاملة الذئب مع

الحمل ، ومن هنا تختلق الكبيرة أسبابا لأكل الصغيرة ، وتدمير مقدراتها وإهلاك الحرث والنسل حتى تحقق أهدافها ومصالحها الاستعمارية غير المشروعة .. والمظلوم فى الواقع هو الشعب الذى يزداد فقراً وقهراً وذلاً .

وقد تدخل الصغرى فى اتفاقيات مجحفة بها تمليها عليها الكبرى أو ترضى بها خوفا من بطشها .. وقد تعاون الصغرى الكبرى فى ظلمها واعتدائها ..

وقد يكون الظلم من الدولة تجاه شعبها ، فتميز طبقة على أخرى فتعيش الأولى فى ترف وبزخ وتفعل ما تشاء ولا تسأل .. والأخرى تعيش على الكفاف أو تحت خط الفقر ولا تجد الضروريات . أو تميز فئة المنافقين المنتفعين على الذين يطالبون بإقامه الحق وشرع الله .. ويكون الظلم هنا بسن القوانين الظالمة السالبة للحريات والمحاكمات الجائرة ، ومصادرة الأموال ،

والاعتقال والتعذيب .. فتعم الرشوة والمحسوبية وينتشر الفساد ..

وقد يكون الظلم بين الأفراد .. في الجنايات بالاعتداء بالقتل أو الضرب أو السرقة .. حيث يأكل القوى الضعيف ، أو في المعاملات ، بالاحتكار ومنع الأقوات أو الغش ونحو ذلك .

ثالثا : الحكمة من وجود الظلم.

إن الدنيا دار ابتلاء ، ولابد أن يكون فيها الشر والخير ، الظالم والمظلوم ، ولله في خلقه حكم وشئون ، ومن هذه الحكم :

١- أنه سبحانه لا يعجل بعقوبة الظالم ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ ﴾ النحل / ٦١ ، لكن الله حليم ستير .. اقتضت حكمته ورحمته أن يؤخرهم إلى أجل مسمى ، والظالمون لا يعتبرون ، بل ظنوا أنه سبحانه يمهلهم ويمكن لهم لأنه يحبهم ! كلا ، بل إن هذا استدراج .. راجع : الابتلاء رحمة او عذاب للمؤلف .

٢- إن الله تعالى حرم الظلم وبين عقوبة الظالمين . .ليرى من يطيعه ومن يعصيه .

٣- وإن الله تعالى يبتلى المؤمن بالظالم ليرى هل ينتصر المظلوم ؟ ومن يدفع عنه الظلم وينصره ؟ ومن يقف للظالم فيقول له : أنت ظالم ؟ وإذا استطاع المظلوم أن ينتقم من الظالم ، فهل سيعفو عنه ويصبر ويحتسب ؟ ولكى يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب . . ولكى يكشف الله المؤمنين الصادقين من المنافقين الكاذبين .

٤- والمؤمن حجة على الظالم فإما أن يرجع عن ظلمه ويفيء إلى الحق ، وإما أن يتمادى . . وقد بعث الله موسى وأخاه عليهما السلام إلى طاغية عصره وقال لهما ﴿ **فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ** ﴾ طه/ ٤٤ ، فالمؤمنون شهداء وحجة على الظالمين . وقال تعالى ﴿ **إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً . .** ﴾ المزمل/ ١٥ .

وقد قال تعالى لنبيه ﷺ « .. إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك .. » مسلم : الجنة : ٢٨٦٥ .

وقال عمر في خطاب توليه الحكم : أيها الناس إن الله ابتلاني بكم وابتلاكم بي .. اعلموا أن الشدة تكون على أهل الظلم والتصدي على المسلمين ، وإني بعد شدتي هذه أضع خدي على الأرض لأهل العفاف وأهل الكفاف ..

الفصل الثانى

الطرق الوقائية لمنع الظلم

الإسلام العظيم جاء ليحرر الإنسان من عبودية الإنسان .. وتحريره من القوانين الأرضية الظالمة .. فهذا ربعى بن عامر يقول لرستم قائد الفرس : إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحدة ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة .. ثم بعد ذلك لا يترك الناس يظلم بعضهم بعضا ، ولكن يوضح لهم الطرق والإجراءات التى تمنع الظلم ، فحد الحدود ، وبين الحقوق ، وحرم التعدى .

وإذا كان الإسلام قد حد الحدود حتى لا يظلم الإنسان أخاه .. إلا أنه قد يحدث التعدى والظلم بعد هذه الإجراءات .. ومن هنا دعا الإسلام إلى نصرة المظلوم والوقوف ضد الظالم ..

ومن الإجراءات الوقائية التى وضعها الإسلام لمنع الظلم ما يلى :

١ – أن الإسلام حرم الظلم بصفة عامة ، للإنسان ، مسلما كان أو غير مسلم ، ويقرر الرحمة والشفقة .. حتى بالحيوان .

فالإسلام يعتبر القسوة بالحيوان جريمة تستحق عقوبة قد تصل إلى دخول النار ففى الحديث : « عذبت امرأة فى هرة حبستها حتى ماتت جوعا فدخلت فيها النار » البخارى : الشرب ٢٣٦٥ .

وفى المقابل يعتبر الشفقة بالحيوان عملاً صالحاً يستحق المغفرة والفوز بالجنة .

ففى الحديث : « بينما رجل يمشى فاشتد عليه العطش فنزل بئراً فشرب منها ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال : لقد بلغ هذا مثل الذى بلغ بى ، فملأ خفه ... فسقى الكلب ، فشكر الله له فغفر

له ، قالوا : يا رسول الله وإن لنا فى البهائم أجراً ؟ قال : فى كل كبد رطبة أجر» البخارى : الشرب : ٢٣٦٣ ومسلم : السلام : ٢٢٤٤ .

وفى كل كبد رطبة أى فى كل كبد حى أجر وهو عام فى جميع الحيوان .

وفى هذا الحديث الحث على الإحسان بالبهائم ، بل الإحسان إلى كل من له حياة .. ويستثنى من ذلك الحيوانات الضارة .. فقد وردت النصوص بقتلها .

وإذا كان هذا فى الحيوان ، فكيف بنصرة الإنسان لأخيه المظلوم وإغاثته وإعانة صاحب الحاجة . وفيه الحث على الإحسان إلى الناس بطريق الأولى ، ولأنه إذا حصلت المغفرة بسبب سقى الكلب فسقى المسلم أعظم أجراً ..

٢- وإن الله تعالى حرم الظلم على عباده ونهاهم أن يتظالموا فيما بينهم ، فالظلم ظلمات يوم القيامة .

ففى الحديث : « . . يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا . . » مسلم : بر: ٢٥٧٧ ورواه غيره .

٣- وإن الإسلام يعتبر أن من قتل نفسا واحدة بغير حق من قصاص أو جناية ، فكأنما قتل الناس جميعاً ، قال تعالى :﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ المائدة : ٣٢ .

وكذلك من ينصر نفسا أو ينقذها فكأنما أنقذ الناس جميعا ، والنفس هنا جاءت مطلقة من كل قيد ، فالظلم حرام على أى نفس كانت .

ففى الحديث « من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة » البخارى : جزية : ٣١٦٦ .

وفى رواية « . . . بغير حق . . » .

وفى الحديث « ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس ، فأنا حجيجه يوم القيامة » ابو داود : إمارة :٣٠٥٢

وهذا الحديث عام فى النهى عن كافة أنواع الظلم .

٤- المسلم لا يظلم أخاه : والإسلام يعتبر المسلمين إخوة .. جسد واحد .. كالبنيان المرصوص ، أمة واحدة .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ الحجرات : ١٠

وفى الحديث : «المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ، ولايخذله ، كل المسلم على المسلم حرام ، عرضه ودمه وماله ، التقوى ههنا ، بحسب امرىء من الشر أن يحتقر أخاه المسلم » الترمذى : البر : ١٩٢٧ ورواه ابو داود :٤٨٨٢ مختصرا وفى رواية بلفظ "يحقر" والمعنى : أى يكفى من صفات الشر ورذائل الأخلاق أن يحقر المسلم أخاه ويستصغره عون المعبود: ١٣ / ٢٢٦ .

وفى الحديث : «إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » البخارى : الصلاة :٤٨١ ومسلم : بر: ٢٥٨٥ .

٥- وقد علمنا النبى ﷺ أن نستعيذ بالله من أن نضل عن الحق والرشاد .. أو أن يزل القدم .. أو أن يقع الظلم منا أو علينا ... وذلك عند كل خروج من البيت ، فقد روى أن أم سلمة قالت : ما خرج رسول ﷺ من بيتى قط إلا رفع طرفه إلى السماء فقال : اللهم إنى أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علىّ » أبو داود وابن ماجه .

٦- وكانت وصية النبى ﷺ ، الوصية الجامعة فى يوم الحج الأكبر كأنه يودع أمته ، وكان من ضمن وصاياه : « ... فإن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا ... » ثم يقول : الا هل بلغت ؟ قالوا : نعم ، قال : اللهم اشهد .. فليبلغ الشاهد الغائب .. » البخارى :١٧٤١ ومسلم كلاهما فى الحج .

وفى رواية قال ابن عباس : فوالذى نفسى بيده ، إنها لوصية أمته ، وفى رواية : ودّع الناس

.. فقالوا هذه حجة الوداع .

٧- والإسلام يعتبر حرمة المسلم أشد حرمة من المسجد الحرام .

ففى الحديث أن النبى ﷺ وقف أمام الكعبة وقال : «ما أطيبك وأطيب ريحك ، وما أعظمك وأعظم حرمتك ، والذى نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك ، ماله ودمه ، وأن نظن به إلا خيراً» الترمذى : البر والصلة : ٢٠٣٢ وابن ماجه : الفتن : ٣٩٣٢ .

* * *

الباب الثانى

نصــرة المظــلوم

ونتكلم فى هذا البــاب عن واجب نصــرة المظلوم ثم عن وقائع تاريخية فى نصره .

الفصل الأول

واجب نصرة المظلوم

إذا كان الإسلام قد وضع إجراءات وقائية لمنع الظلم إلا أنه مع ذلك قـد يحدث هذا الظلم ، ومن هنا أوجب على الأمـة أن تنصـر المظلوم ، فالإسلام يربى أتباعه على المروءة والشهامة .. ونصــر المظلوم .. ولكننا نرى الآن المسلم يرى أخاه يظلم ويضرب ويهان .. فلا ينصره .. وقد تفشت السلبية حتى إن الإنسان يرى أخاه ينزف من أثر حادثه تكاد تودى بحياته ، ولا ينقذه ولا يسعفه .. مع أن الإسلام يأمر بنصرة المظلوم

وإغاثة الملهوف وإعانة المحتاج والمكروب .

(١) نصرة المظلوم :

وقد وردت أحاديث كثيرة فى نصرة المظلوم ، نختار منها :

١ - ففى الحديث : « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، قالوا يا رسول الله ، هذا ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما ؟ قال : تأخذ فوق يديه »

البخارى : مظالم :٢٤٤٤ وغيره .

قال فى الفتح : يكفه عن الظلم بالفعل إن لم يكف بالقول وعبر بالفوقية « فوق يديه » إشارة إلى الأخذ بالاستعلاء والقوة .. وكانوا فى الجاهلية يقولون : « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » وأرادوا بذلك حمية الجاهلية ، على خلاف ما فسره النبى ﷺ .. وحمية الجاهلية تجعل الإنسان يندفع ويعتدى من غير تثبت ولا روية ولا معرفة أين الخطأ .

فهذا طريق .. وهناك طرق أخرى فى نصر

الظالم .

ففى رواية « . . تحجزه عن ظلمه فإن ذلك نصره » وفى رواية « . . تمنعه من الظلم » احمد : ١٣٠١٣ صحيح ، وفى رواية « . . يكفه عن الظلم . . » « فإن كان ظالما فلينهه » .

والحقيقة أن الظالم بظلمه واعتدائه قد ظلم نفسه ، ومن هنا احتاج إلى تقويم . . لذا قال البيهقى فى شرح الحديث : معناه أن الظالم مظلوم فى نفسه ، فيدخل فيه ردع المرء عن ظلم نفسه . . فتح :٥ / ١١٨ .

وفى رواية عائشة رضى الله عنها « . . إن كان مظلوما فخذ له بحقه ، وإن كان ظالما فخذ له من نفسه » فتح : ١٢ / ٣٤١ .

٢– وفى الحديث أن رسول الله ﷺ مر بناس من الأنصار وهم جلوس فى الطريق فقال : إن كنتم لابد فاعلين ، فردوا السلام ، وأعينوا المظلوم ، واهدوا السبيل » الترمذى : ٢٧٢٦ حسن والدارمى :

٢٦٥٥ كلاهما فى الاستئذان ورواه غيرهما .

إن النبى ﷺ أوجب على الجالسين فى الطرقات مهمات ومسئوليات ، لأنهم ينظرون إلى الناس ويشهدون أفعالهم .. وقد ذكر من هذه الواجبات ما سبق على سبيل المثال .

٣- وفى الحديث « أمرنا النبى ﷺ بسبع ونهانا عن سبع ، أمرنا باتباع الجنائز وعيادة المريض ، وإجابة الداعى ، ونصرة المظلوم ، وإبرار القسم ، ورد السلام ، وتشميت العاطس » . البخارى : الجنائز : ١٢٣٩ والترمذى : الأدب : ٢٨٠٩ صحيح .

٤- وفى الحديث « المسلم أخو المسلم .. لا يخذله ولا يحقره .. » مسلم : البر ٢٥٦٤ والخذل : ترك الإعانة والنصر ، ومعناه : إذا استعان به فى دفع ظالم ونحوه لزم إعانته إذا أمكنه ذلك .

(٢) إغاثة الملهوف

حث الإسلام على إغاثة الملهوف ونجدته وإعانته وإسعافه ، والملهوف يطلق على المظلوم أو

المضطر أو المكروب والمحتاج .

ففي الحديث أن رسول الله ﷺ قال : على كل مسلم صدقة ، فقالوا : يا نبي الله ، فمن لم يجد ؟ قال : يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق قالوا : فإن لم يجد ؟ قال : يعين ذا الحاجة الملهوف . . » البخارى : ١٤٤٥ ومسلم : ١٠٠٨ كلاهما فى الزكاة

والإعانة تكون بالقول أو الفعل . .

وفى رواية : « . . وتغيثوا الملهوف، وتهدوا الضال » أبو داود : ٤٨١٧

(٣) إعانة صاحب الحاجة :

وقد تقدم هذا المعنى فى الأحاديث السابقة ، ونذكر كذلك :

قالت نسوة من بنى غفار ، يا رسول الله ، قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا . . وهو يسير إلى خيبر . . فنداوى الجرحى ، ونعين المسلمين بما استطعنا ، فقال « على بركة الله » احمد : ٦ / ٣٨٠ : ٢٧٠١٤ ضعيف فهؤلاء نسوه يخرجن

لمداواة الجرحى .. يتبرعن لعمل الخير .. وقد بارك النبى ﷺ هذا العمل الهام .

وقضاء الحاجات درجات ، أدناها : القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة .. وأوسطها : القيام بالحاجة من غير سؤال ، وأعلاها : تقديم حوائجه على حوائج النفس .. وكان بعض السلف يتفقد عيال أخيه بعد موته أربعين سنة يقضى حوائجهم .. منهاج القاصدين .

(٤) التفريج عن المكروب :

الإنسان فى هذه الحياة يمر بحالات أفراح وسرور وأحياناً أزمات وكروب .. وقد حث الإسلام على تفريج الكروب .

ففى الحديث «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة» البخارى : المظالم: ٢٤٤٢ ومسلم :

البر : ٢٥٨٠ وأسلم فلان فلانا : إذا ألقاه إلى التهلكة ولم يحمه من عدوه .. ولا يظلمه ، لأن الظلم حرام ، ولا يسلمه أى لا يتركه مع من يؤذيه ، بل ينصره ويدافع عنه .. فمن حقوق المسلم على أخيه أن يفرج عنه كربه ويسعى فى حل مشاكله ..

وفى رواية الطبرانى : « ولا يسلمه فى مصيبة نزلت به » .

(٥) النهى عن السلبية .

المسلم لا يترك أخاه يظلم ويعذب ويهان ، وهو ينظر إليه ثم يهز كتفيه كأن الأمر لا يعنيه ، ولكن لابد له أن ينصره ويدفع عنه ، لأنه أخوه ومن حق الأخ على أخيه نصرته وإعانته .. وإلا كان الفساد والطغيان وانسحاب الخذلان على غيره .. وسوف تضيع الشهامة ، ويذل ويخضع المظلوم للظالم .. ثم تكون اللعنه على من حضر ولم ينصره .

قال النبي ﷺ « لا يقفن أحدكم موقفا يضرب فيه رجل ظلما فإن اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه » الطبراني .

(٦) ثواب نصرة المظلوم

جعل الإسلام ثوابا لمن ينصر المظلوم وعقوبة لمن يتخلف عن نصرته ، فمن ينصر المظلوم ينصره الله .. ويثبت قدمه على الصراط يوم القيامة .

١– ففي الحديث « ما من امرىء يخذل امرأً مسلما في موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته ، وما من امرىء ينصر مسلما في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب نصرته » . ابو داود: ادب :٤٨٨٤ واحمد:٤/٣٠ والنصره هنا عند حضور غيبة أخيه أو ضربه أو قتله أو غير ذلك . عون المعبود : ١٣/٢٢٨ .

٢- وفى الحديث « من مشى مع مظلوم حتى يثبت له حقه ثبت الله قدميه على الصراط يوم تزل الأقدام » الاصبهانى .

هذا وقد سبق ذكر بعض الأحاديث فى ثواب نصرة المظلوم وإغاثة الملهوف . .نحيل إليها لعدم التكرار

(٧) عقوبة عدم النصرة :

من خذل مسلما فلم ينصره ، أذله الله وأغلق دونه أبواب رحمته واحتجب الله عنه دون حاجته .

١- ففى الحديث « من أذل عنده مؤمن فلم ينصره وهو قادر على أن ينصره ، أذله الله عز وجل على رؤوس الخلائق يوم القيامة » احمد: ٤٨٧/٣ : ١٥٩٢٧ حسن .

٢- وفى الحديث « من ولى من أمر الناس ثم أغلق بابه دون المسكين أو المظلوم أو ذى الحاجة ، أغلق الله عز وجل دونه أبواب رحمته عند

حـاجـتـه وفـقـره أفـقـر مـا يكون إليـهـا » أحمد : ٣ : ٤٨٠ : ٥٨٨٤ ١ ضعيف لكن له شواهد .

٣- وفي الحديث « من ولاه الله عز وجل شيئا من أمـر المسلمـين فـاحـتـجب دون حـاجـتـهم وخَلَّتهم وفقرهم ، احتجب الله عنه دون حاجته وخلته وفقره » أبو داود : الإمارة : ٢٩٤٨ .

الفصل الثانى

وقائع تاريخية فى نصرة المظلوم

فى تاريخ الدعوات نجد أن صاحب الدعوة يحتاج إلى من ينصره ، حيث إنه يحمل رسالة الحق ، ولا يستند إلى قوة مادية أرضية ، ولا يملك إجبار الناس على الحق .. وأصحاب الدعوات يجدون اضطهاداً وتهديداً وتعذيباً .. ولله فى خلقه شئون فكان لابد من نصرهم ..

إن الله سبحانه قادرعلى نصرهم ، ولكنه يبتلى الناس حتى يظهر الذى ينصر الحق ، من الذى يتخاذل ..أو يؤيد الظالم ﴿ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ﴾ محمد : ٤ .

ونذكر باختصار بعض الأمثله من الواقع التاريخى للذين ناصروا أصحاب الدعوات .

١ـ مؤمن آل فرعون ينصر موسى -عليه السلام- :

فهذا رجل مؤمن ، كان يكتم إيمانه ، ولكن لما قال فرعون ﴿ ذَرُونِى أَقْتُلْ مُوسَىٰ .. ﴾ غافر:٢٦ لم يكتم إيمانه وأخذته غضبة لله عز وجل فقال : ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّىَ اللَّهُ ﴾ غافر : ٢٨ أتقتلون رجلا قد جاءكم بتسع آيات بينات وأقام لكم البرهان على صدق ما جاءكم به من الحق ؟

وهكذا دافع الرجل عن موسى عليه السلام وفند مزاعمهم وخاطب عقولهم وعواطفهم .. لنصرة الحق وأهله .. وأفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر ..

وبمثل هذا الموقف فعل أبو بكر الصديق .

فقد روى عن عروة بن الزبير قال : قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص : أخبرني بأشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ ، قال : بينما رسول الله ﷺ يصلى بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه

في عنقه فخنقه خنقا شديدا ، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفع عن رسول الله ﷺ وقال : (أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله . .) البخارى : التفسير : ٤٨١٥ .

ومن يقرأ السيرة النبوية يجد أن قريشا حاولت قتل النبى مرارا وهو لم يشهر سيفا ولم يقتل أحداً .

وقد جاء فى الحديث أن مؤمن آل فرعون كان على درجة عالية من الإيمان فقد كان من الصديقين كأبى بكر رضى الله عنهما .

ففى الحديث « الصديقون : حبيب النجار مؤمن آل يس ، ومؤمن آل فرعون . . .والثالث أبو بكر الصديق » ذكره القرطبى فى تفسير سورة غافر.

(٢) حلف الفضول :

كان هذا الحلف بين قبائل العرب قبل الإسلام ، اجتمعوا فى دار عبد الله بن جدعان التيمى لسنه وشرفه فتعاهدوا على أن لا يجدوا

بمكة مظلوماً من أهلها أو غيرهم من سائر الناس إلا قاموا معه ، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته ، وشهد هذا الحلف رسول الله ﷺ وقال بعد البعثة : « لقد شهدت فى دار عبدالله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لى به حمر النعم ، ولو أدعى به فى الإسلام لأجبت . . » ابن هشام ١/١٠٦ .

فهذا الحلف ينافى العصبية التى كانت موجودة فى الجاهلية ويتفق مع الفطرة الإنسانية التى توجب مناصرة المظلوم والدفاع عنه أياً كانت جنسية هذا المظلوم . . لأن ميزان العدل واحد . .

(٣) البيعة على نصرة النبى ﷺ :

نعلم ما كان يلاقيه النبى ﷺ وأصحابه من أذى المشركين فى مكة . . وظل الأمر كذلك حتى كانت بيعة العقبة الثانية حيث التقى الرسول ﷺ برجال من الأنصار وبايعوه على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم ، ثم كانت الهجرة إلى المدينة وتكوين الدولة . .

وكان النبى ﷺ يحب الأنصار ويقول « لو أن الأنصار سلكوا واديا أو شعبا ، لسلكت فى وادى الأنصار ، ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار . فقال أبو هريرة : ما ظلم ، بأبى وأمى ، آووه ونصروه . . » البخارى : مناقب الأنصار : ٣٧٧٩ ومسلم : مناقب : ١٠٥٩ وفى رواية احمد : ١٠٠١٩ « آووه ونصروه أو واسوه ونصروه » .

(٤) الوحى ينصف يهودى مظلوم :

عدالة السماء تنصف إنسانا مظلوما ولو كان يختلف مع المسلمين فى عقيدته . . ولو كان يهوديا . . وتنزل الآيات من ١٠٥ : ١١٣ من سورة النساء تبرىء المظلوم .

والقصة أن رجلا من المسلمين سرق درعا ولما أحس اكتشاف أمره ألقى الشىء المسروق فى بيت اليهودى وقال لأهله : إنى غيبت الدرع فى بيت فلان ، فانطلقوا إلى النبى ﷺ فقالوا : إن صاحبنا برئ والسارق هو اليهودى . . فاعذر

صاحبنا على رؤوس الأشهاد وجادل عنه وإلا هلك فقام رسول الله ﷺ فبرأه .. أى برأ السارق الحقيقى .. فأنزل الله : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾ راجع آيات النساء من ١٠٥:١١٣ .

١- فالسارق الحقيقى يعتبر من المسلمين ، وأهله يدافعون عنه بدافع عاطفة القرابة والدين والجنسية ، وهم فى حجتهم ألحن وأقوى .. والمسلم يغلب عليه الصدق ، واليهودى يغلب عليه الخداع والكذب ، وأن جسم الجريمة وجد فى بيت اليهودى .

٢- المتهم من اليهود ، وهم أشد الناس عداوة للمسلمين ، ينشرون الأكاذيب والطعن والشكوك .. ويصنعون المؤامرات .

٣-الرسول ﷺ كاد يحكم على اليهودى بالسرقة بما ثبت لديه من أدلة وهى تعنى فى ميزان البشر اتهام اليهودى ، والرسول ﷺ

يقول : « إنكم تختصمون إلى ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض ، فمن قضيت له بحق أخيه شيئا بقوله فإنما أقطع له قطعة من النار فلا يأخذها » البخارى : الشهادات : ٢٦٨٠ وروى بألفاظ اخرى .

وفى هذه الظروف الصعبة تنزل الآيات من فوق سبع سماوات تكشف النقاب عما خفى من مؤامرة قام بها بعض المسلمين وتبرىء اليهودى وتضع قواعد .

٤ –المتهم اليهودى ينزل الوحى بتبرئته ولم يكن يحدث ذلك بموازين البشر . . إلا ممن لا تخفى عليه خافية .

٥– الشهود شهدوا زورا ، يدافعون عن السارق . . والله سماهم خائنين وأنهم يخافون الناس ولا يخافون الله عالم الغيب والشهادة .

٦– ثم تكون القاعدة ﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ النساء : ١١٢ .

كان يمكن ستر المسلم تحت شعار السياسة

والحكمة والذكاء أو المصلحة .. من الشعارات العفنة التى ألغاها الإسلام .. لكن الإسلام هو الحق والعدل والمساواه .. ويتضح من ذلك أن الظلم يكاد ينعدم فى ظل سيادة شريعة الله أما البشر فتغلب عليهم الشهوات والأهواء والمصالح ومن هنا تكثر المظالم ..

هذه بعض الأمثلة من الوقائع التاريخية فى نصرة المظلوم نكتفى بها للاختصار والتاريخ الإسلامى ملىء لمن يعتبر .

* * *

الباب الثالث

الانتصار من الظالم

الفصل الأول

المظلوم ينتصر لنفسه

تمهيد :

إذا كان الواجب على الإنسان أن ينصر أخاه المظلوم ، فلا يعنى أن يقف المظلوم موقفا سلبيا ، بل عليه أن يدفع عن نفسه الظلم وأن ينتصر لنفسه ، وهذا أمر غريزى فطرى تجده حتى فى الحيوان .

قال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ** ﴾ الشورى: ٣٩ قال إبراهيم : كانوا يكرهون أن يستذلوا ، فإن قدروا عفوا . فتح البارى : ١١٩/٥ .

فمن صفات المسلمين دفع الظلم وعدم الخضوع حتى لا يتجرأ الأشرار ويتبجح السفلة

فينتصرون ممن ظلمهم واعتدى عليهم فهم ليسوا بعاجزين ولا أذله ، وقد ذكر القرآن هؤلاء المنتصرين فى معرض المدح ، لأن التذلل لمن بغى ليس من صفات من جعل الله لهم العزة ﴿ **وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ المنافقين : ٨ .

والذى ينتصر بعد ظلمه ، فهو يزاول حق الدفاع الشرعى ، فلا أحد يقف فى طريقة إنما نقف فى طريق الظالم ﴿ **إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ** ﴾ الشورى: ٤٢ .

والأصل أن يكون الدفع بقدر الظلم من غير مجاوزة ولا اعتداء ..﴿ **وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا** ﴾ الشورى : ٤٠ .

وقد شرع الله تعالى القصاص من الظالم .. والمظلوم إذا لم يكن فى حالة دفاع شرعى ولم يستطع القصاص فله أن ينتصر بالدعاء واللجوء إلى الله تعالى ، ودعوة المظلوم مستجابة .

هذا وإذا كان المسلمون فى حالة ضعف فليس هناك إلا الصبر والثبات والاحتساب عند الله وإعداد العدة حتى يأتى الله بالفرج ، وانتظار الفرج عبادة . راجع الصبر والثبات على الطريق .للمؤلف .

وقد يملك المظلوم أن ينتصر من الظالم وينتقم منه لكن هناك ظروف تجعله يعفو عن الظالم . . ولما له من الأجر عند الله .

فالمسلم ينتصر لنفسه بطرق منها :

(١)- الدفاع الشرعى :

المقصود من الدفاع الشرعى رد الاعتداء لقوله تعالى ﴿ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ البقرة:١٩٤ .

وللحديث « ما من مسلم يظلم بمظلمة فيقاتل فيقتل ، إلا قتل شهيدا » احمد:٢/٢٠٥:٦٩١٣ ضعيف لكن له شواهد .

وللحديث « من قتل دون ماله فهو شهيد » البخارى :المظالم : ٢٤٨٠ .

وللدفاع الشرعى شروط : أن يكون هناك ظلم وعدوان ، وأن يكون الاعتداء حالا ، ولا يمكن دفعه بوسيله أخرى .. وأن يدفع العدوان بالقوة اللازمة فقط ، فإن زاد فهو اعتداء وتجاوز لحق الدفاع الشرعى.

(٢) القصاص :

والقصاص : المماثلة ، أى مجازاة الجانى بمثل فعله ، وسمى القصاص لأن المقتص يتتبع جناية الجانى ليأخذ مثلها .

والأصل فى عقوبات القصاص أن تستوفى بمعرفة ولى الأمر ، واستثناء تكون بمعرفة ولى الدم أو المجنى عليه تحت إشراف ولى الأمر ، لأنه لا يؤمن الحيف من المقتص بقصد التشفى .

وإذا لم يستوف القصاص فى العاجلة ، فلابد منه فى الآخرة .

ففى الحديث «إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار ، فيتقاصون مظالم

كانت بينهم فى الدنيا . . » البخارى:المظالم: ٢٤٤٠ .

وفى الحديث « من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلله منها فإنه ليس ثم دينار ولا درهم ، من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته ، فإن لم يكن له حسنات ، أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه » البخارى : الرقائق : ٦٥٣٤ .

أى يؤخذ من حسنات الظالم ، فإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات المظلوم فردت على الظالم . . فتح:١١/٤٠٥ .

والتاريخ الإسلامى ملئ بالقصاص العادل من الظالم ، لا فرق فيه بين كبير وصغير ، أمير أو حقير . . فالناس أمام شرع الله سواء .

أ ـ فهذا والى مصر عمرو بن العاص رضي الله عنه عندما ضرب ابنه قبطياً . . ذهب إلى عمر بن الخطاب يشكو . . لأنه يعلم أن الإسلام ينصفه ويحرم الظلم . . وأن هناك مساواة . . فدعا عمر بن الخطاب عمرو بن العاص وابنه محمداً

يقول أنس رضي الله عنه .

فوالله إنا لجلوس عند عمر ، وإذا عمرو بن العاص يقبل .. فجعل عمر يتلفت باحثاً عن ابنه محمد فإذا هو خلف أبيه ، فقال : أين المصرى ؟ قال : ها أنذا يا أمير المؤمنين ، قال عمر : خذ الدرّة واضرب بها ابن الأكرمين ، فضربه حتى أثخنه .. ثم قال عمر : اجعلها على صلعة عمرو ، فوالله ما ضربك إلا بفضل سلطانه .

قال الرجل : يا أمير المؤمنين ، قد استوفيت واشتفيت وضربت من ضربنى ، قال عمر : أما والله لو ضربته ما حلنا بينك وبينه حتى تكون أنت الذى تدعه ، ثم التفت إلى عمرو وقال كلمته المشهورة : يا عمرو ، متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟! فقال عمرو : يا أمير المؤمنين لم أعلم ولم يأتنى الرجل ، يعنى المصرى .

ب - وهذا جبلة بن الأيهم وكان آخر أمراء بنى

غسان فأسلم وجاء إلى المدينة ثم أراد أن يحج .. وأثناء طوافه وطئ رجل إزار جبلة فلطمه لطمة شديدة وأسرع الرجل إلى أمير المؤمنين يشكو .. وأرسل أمير المؤمنين إلى جبلة .. ثم سأله فأقر .. فقال عمر : إما أن ترضى الرجل وإما أن اقتص منك ، فدهش جبلة وقال لعمر : وكيف ذلك وهو سوقة وأنا ملك ، قال عمر : إن الإسلام سوى بينكما .. ولم يرضى جبلة بالقصاص .. ثم هرب بحيلة من المدينة ولحق بهرقل بالقسطنطينية .

هذا هو الإسلام وعدله بين الناس .. كل الناس ، فأين من أين ، أين حضارة المسلمين من الحضارة المزعومة الخادعة التى تكيل بمكيالين وتنصر الظالم المعتدى .. إن هذا الظلم الواقع على المسلمين في كل مكان ، ما هو إلا مقدمة لإهلاك الظالمين ﴿ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا

ظَلَمُوا .. ﴾ الكهف / ٥٩ ، ﴿ **وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ..** ﴾ الحج / ٤٨ .

إن ما حل بالمسلمين ابتلاء .. فعسى أن يعودوا إلى ربهم حتى ينصرهم .. ولله الأمر من قبل ومن بعد ..

(٣) المظلوم ينتصر بالدعاء :

إذا لم يقدر المظلوم أن ينتصر لنفسه . . فإنه يلجأ إلى الله بالدعاء على الظالم .. ودعوة المظلوم مستجابه .. وهذا فى ذاته انتصار من الظالم .

ففى الحديث «من دعا على من ظلمه فقد انتصر» الترمذى : الدعوات:٣٥٥٢ غريب .

وفى الحديث «اتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب» البخارى: المظالم: ٢٤٤٨ ومسلم: الإيمان :١٩ .

وكان النبى ﷺ يدعو«رب أعنى ولا تعن

على ، وانصرنى ولا تنصر على ، وامكر لى ولا تمكر على ، واهدنى ويسر هداى إلى ، وانصرنى على من بغى على . . » ابو داود : الصلاة : ١٥١٠ والترمذى : الدعوات : ٣٥٥١ حسن صحيح .

(٤) المظلوم ينتظر النصر :

وعد الله المظلومين من المؤمنين بالنصر فقال ﴿ **إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (٥١) يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ** ﴾ غافر : ٥١ / ٥٢ .

فالنصر لابد منه فى الدنيا والآخرة ، وليس فى الآخرة فقط ، فلينتظر المظلوم وليصبر فإن وعد الله حق .

ففى الحديث : « سلوا الله من فضله فإن الله عز وجل يحب أن يُسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج » الترمذى الدعوات : ٣٥٧١ .

وفى الحديث « . . ما نقص مال عبد من صدقة ، ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا

زاده الله عزا . . » الترمذي : زهد : ٢٣٢٥ .

وفي حديث « احفظ الله يحفظك يقول النبي ﷺ « . . واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا » أحمد : ١/٣٠٧ : ٢٨٠٤

وانظر : جامع العلوم والحكم حديث رقم : ١٩ .

(٥) المظلوم يعفو عن الظالم :

إن الإسلام جعل الانتصار عند البغى فضيلة ، وجعل العفو عند المقدرة فضيلة . والعفو يكون بستر السيئة ، والصبر والتسامح وكظم الغيظ والاحتساب عند الله تعالى ﴿ **فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ** ﴾ الشورى : ٤٠ .

وقد رغب الله تعالى في الصبر والعفو ﴿ **وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** ﴾ الشورى : ٤٣ ، أى صبر على الأذى ، وغفر لمن ظلمه ولم ينتصر لنفسه .

والعفو هنا يكون عند المقدرة ، حيث يكون

له تأثيره عند الظالم المعتدى الذى يشعر أن العفو لم يكن عن عجز أو ضعف أو خجل ، وإلا تمادى المعتدى وطمع . .

وفى الحديث « . . وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله » مسلم : البر : ٢٥٨٨ وغيره .

وفى الحديث « من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره الله من الحور ما شاء » ابو داود : الادب : ٤٧٧٧ وفى رواية « من كظم غيظا وهو قادر على أن ينتصر . . » أحمد : ٣/٤٣٨ ١٥٥٥٦ حسن .

قال الطيبى : إنما حمد كظم الغيظ لأنه قهر للنفس الأمارة بالسوء ولذلك مدحهم الله بقوله ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ آل عمران : ١٣٤ .

وفى الحديث « أفضل الفضائل أن تصل من قطعك ، وتعطى من منعك وتصفح عمن شتمك » احمد : ٣/٤٣٨ : ١٥٥٥٥ حسن ورواه غيره .

وفى رواية « .. وأعرض عمن ظلمك »
أحمد:١٧٢٦٧ والترمذى: ٢٤٠٦حسن .

وفى رواية « .. واعف عمن ظلمك » أحمد: ١٧٣٨٣ صحيح .

عفو النبى ﷺ عن رجل أراد قتله :

فى غزوة ذات الرقاع نزل النبى ﷺ هو وأصحابه منزلا .. وأدركتهم شدة الحر ، فنام النبى ﷺ تحت شجره وقد علق بها سيفه ، وتفرق أصحابه تحت الشجر ..

وجاء رجل من المشركين فأخذ سيف النبى ﷺ وهو نائم يريد قتله .. والقصة يرويها الإمام البخارى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه « غزا مع رسول الله ﷺ ... فأدركتهم القائلة فى واد كثير العضاة - كثير الشوك - يستظلون بالشجر ، ونزل رسول الله ﷺ تحت شجرة سمرة - كثيرة الورق - فعلق بها سيفه ، قال جابر فنمنا نومة ، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا ، فجئنا ، فإذا

عنده أعرابى جالس فقال رسول الله ﷺ : « إن هذا اخترط سيفى وأنا نائم ، فاستيقظت وهو فى يده صلتا - أى مجرداً عن غمده - ، فقال لى : من يمنعك منى ؟ قلت الله ، فها هو ذا جالس » ثم لم يعاقبه رسول الله ﷺ » . البخارى : ٤١٣٥ .

وفى رواية : فقال له : تخافنى ؟ فقال له : لا ، قال فمن يمنعك منى ؟ قال : « الله .. » البخارى : ٤١٣٦ .

إن الأعرابى يريد قتل النبى ﷺ لتكون له الحظوة عند قومه وظن أنه قد تمكن من هدفه .. وقد كان يردد على النبى ﷺ قوله : من يمنعك منى ؟ وقال تخافنى .. ؟ والنبى ﷺ لم يزده على ذلك الجواب .. وفى ذلك غاية الثبات والتهكم والثقة فى نصر الله تعالى .. وأن الله مانعه .. ولما شاهد الأعرابى هذا الثبات العظيم .. ألقى السلاح ..

وفى رواية : فدفع جبريل عليه السلام فى

صدره فوقع السيف من يده ، فأخذه النبى ﷺ وقال : من يمنعك منى ؟ قال الأعرابى : لا أحد .. قال : قم فاذهب لشأنك ، فلما ولى قال : أنت خير منى .. أنت خير الناس .

وقد عفا النبى ﷺ عن الرجل لشدة رغبته ﷺ فى استئلاف الكفار ليدخلوا فى الإسلام .. ولم يؤاخذه بما صنع بل مَنّ عليه وعفا عنه .

وقد ذكر الواقدى فى نحو هذه القصة أنه أسلم ، وأنه رجع إلى قومه فاهتدى به خلق كثير .. وذلك ببركة عفوه ﷺ عند المقدرة .

الفصل الثانى

الوقوف أمام الظالم

أولاً : الأمر بالوقوف أمام الظالم .

عرفنا أن من انتصر بعد الاعتداء عليه فليس عليه حرج ولا مؤاخذة ولا عقوبة لأنه أتى بما أبيح له من الانتصار ، ولكن المؤاخذة تكون على الظالمين ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ الشورى:٤٢ ، أى إنما العقوبة والمؤاخذة على المعتدين .. الذين يفسدون فى الأرض بالمعاصى والاعتداء على الناس وعلى أموالهم .. فلابد من الوقوف أمام هؤلاء الظالمين .

١- ففى الحديث : « .. والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يدى الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً ، ولتقصرنه على الحق قصراً »أبو داود:٤٣٣٦ وفى رواية « ..أو

ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض أو ليلعننكم كما لعنهم » ابو داود:٤٣٣٧ وغيره .

ولتأطرنه أى لتردنه على الحق ، ولتأطروه على الحق أطراً ، أى تعطفوه عليه ، ولتقصرنه . . أى لتحبسنه عليه وتلزمنه إياه . . وقصرت نفسى على الشئ إن حبستها عليه وألزمتها إياه .

٢- وفى الحديث « إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب . . »أبو داود : ٤٣٣٨ وغيره بالفاظ مختلفة .

٣- وفى الحديث « إذا رأيتم أمتى تهاب الظالم أن تقول له : إنك أنت ظالم فقد تودع منهم »أحمد:٢/١٦٣:٦٥٢١ صحيح . وتودّع : أصله من التوديع وهو الترك . .أى أن ترك الأمر بالمعروف والنهى من المنكر أمارة الخذلان وغضب الرب . .

قال الغزالى : والأمر بالمعروف مع الولاة هو التعريف والوعظ ، أما المنع بالقهر فليس للآحاد ، لأنه فتنة ، ويهيج شراً ، وأما الفحش فى القول

<كيـا ظالم >، < يا من لا يخـاف الله > ، فـإن تعدى شـره للغيـر امتنع ، وإن لم يـخف إلا على نفسه جاز ، بل ندب ، فقد كانت عادة السلف التصريح بالإنكار والتعرض للأخطار » انظر شرح المرحوم احمد شاكر لحديث الإمام احمد آنفا .

ثانياً : النهى عن إعانة الظالم :

وكما أمر الإسلام بالوقوف أمام الظالم ، نهى كـذلك عن إعـانتـه وجـعل لمن يجـامل الظالم أو يعينه على ظلمه عقوبة . .

والناس فى ذلك ثلاثة : من ينصـــر المظلوم وهذا على خير ، ومن يقف موقفا سلبيا خوفا من بطش الظالم ، وهذا لا خـيـر فيـه ، ومن يجـامل الظالم ويعينه على ظلمه فهذا على أمر خطير ، فـقـد بـاء بغـضب من الله ، والإسـلام منه برئ ، ويتبـرأ منه النبى ﷺ ، وإن كان يـعين الظالم لأنه من عصبته أو من قومه فهذه هى الجاهليه التى نهى عنها الإسلام وتبرأ منها .

هذا وقد جاءت الأحاديث النبوية الشريفة الكثيرة فى النهى عن إعانة الظالم وفرض عقوبات على من يعينه على ظلمه ، نختار منها :

١- ففى الحديث « ومن أعان على خصومة بظلم فقد باء بغضب من الله عز وجل » ابو داود : الأقضية : ٣٥٩٨ .

٢- وفى رواية « من أعان على خصومة بظلم < أو يعين على ظلم > لم يزل فى سخط الله حتى ينزع » ابن ماجه : الاحكام : ٢٣٢٠ .

٣- وفى رواية « من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم فقد خرج من الإسلام » الطبرانى فى الكبير وانظر عون المعبود : ١٠ / ٦ والجامع الصغير : ٩٠٤٩ صحيح

٤- وفى الحديث « . . إنه سيكون بعدى أمراء فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس منى ولست منه وليس بوارد على الحوض ، ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم ولم يصدقهم بكذبهم فهو منى وأنا

منه وهو وارد على الحوض» الترمذى : الفتن : ٢٢٥٩ صحيح والنسائى : البيعة:٤٢١٣ واحمد : ٣٩٩/٣ صحيح .

٥- وفى الحديث عن واثلة قلت يا رسول الله ، ما العصبية ؟ قال :أن تعين قومك على الظلم» ابو داود : ادب:٥١١٩ .

٦- وفى رواية : فقلت يا رسول الله ، أمن العصبية أن يحب الرجل قومه قال : لا ولكن من العصبية أن ينصر الرجل قومه على الظلم» احمد: ١٠٧/٤:١٦٩٢٦ صحيح وابن ماجه : ٣٩٤٩ .

٧- وفى الحديث « .. ومن قاتل تحت راية عُمّية ، يغضب لعصبة ، أو يدعو إلى عصبة ، فقتل فقتلةٌ جاهلية .. » مسلم: إمارة : ١٨٤٨ .

وعصبة الرجل : أقاربه من جهة الأب .. فهذا لا ينصر المظلوم أو ينصر الدين أو الحق ، بل لمجرد التعصب لقومه ولهواه كما يقاتل أهل الجاهلية ، والأخوة فى الإسلام تعنى التناصر بين المسلمين .. لإحقاق الحق وإبطال الباطل ونصرة

المظلوم ، وإغاثة الملهوف وإعانة المكروب . .

نهاية الظالمين

إن الله يستدرج الظالمين وذلك بإدرار النعم عليهم مع نسيان المنعم . . حتى يهلكهم .

وفى الاستدراج يستمر الظالمون على المعاصى والمظالم فيعطيهم الله ويملى لهم ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ القلم : ٤٥ .

فهذا العطاء ليس عطاء تكريم ومحبة من الله ، إنما هو استدراج ، وفى الحديث : « إذا رأيت الله يعطى العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج ، ثم تلا الآية ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الانعام / ٤٤:٤٥ . رواه احمد : ٤/١٤٥ .

ويقول تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا

نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ آل عمران / ١٧٨ .

إن العطاء للظالمين ينسيهم ويغريهم ويطغيهم .. فهذا فرعون أعطاه الله المال والزينة والسلطان .. فطغى وظلم واستكبر .. واستخدم عطاء الله فى إذلال الناس وظلمهم .. ومن هنا دعا موسى عليه السلام على فرعون ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ ﴾ يونس / ٨٨ .

وفى الحديث : « إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ، ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ هود / ١٠٢ رواه البخارى : ٤٦٨٦ ومسلم ٢٥٨٣ .

العاقبة للمتقين

ولقد قال موسى لقومه ﴿ .. اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ

وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ الاعراف / ١٢٨ .

وقال تعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ القصص : ٥:٦ .

وما كان فرعون إلا مثلا ، ينطبق على كل فرعون في كل زمان ومكان .. والله المستعان .

* * *

الخاتمة

الحمد لله الذى تتم بنعمته الصالحات والصلاة والسلام رسول الله ﷺ .

وبعد ،

فقد رأيت أخى كيف حشد الإسلام النصوص الكثيرة الصريحة الواضحة فى نصرة المظلوم والانتصار من الظالم .

والموضوع بعد له أهميته وخطورته .. لأن ظلم الإنسان لأخيه وقهره وذله من أكبر الكبائر .

والموضوع بعد واسع متشعب ..

لكنى قد اختصرته وقد حاولت تقديمه إليك سهلاً مناسباً للوقت والحال .. وكان بودى أن أقدمه فى أحسن حال ، والإنسان من شأنه الخطأ والنسيان والتقصير .. والكمال يبقى لله الواحد الديان .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المؤلف

* * *

كتب للمؤلف

١- مختصر مدارج السالكين .	دار الدعـــوة
٢- منهج القرآن في التثبت من الأخبار	دار الدعـــوة
٣- البذل والتضحية في سبيل الله .	دار الدعـــوة
٤- الشفاعة .	دار الدعـــوة
٥- الابتلاء رحمة أو عذاب .	دار ابن لقمان
٦- آداب غض البصر .	دار المـــدائـــن
٧- آداب الاستئذان .	دار المـــدائـــن
٨- بر الوالدين والأقارب جـ ١ .	دار المـــدائـــن
٩- بر الوالدين والأقارب جـ ٢ .	دار المـــدائـــن
١٠- مختصر الابتلاء رحمة أو عذاب .	دار المـــدائـــن
١١- الاختلاط بين الطلبة والطالبات .	دار المـــدائـــن
١٢- الحياء من مكارم الأخلاق .	دار المـــدائـــن
١٣- الصبر والثبات على الطريق .	دار المـــدائـــن
١٤- احترام الكبير ورعاية المسنين .	دار المـــدائـــن
١٥- نصرة المظلوم .	دار المـــدائـــن